ولا صبا ولا تجري نسمةٌ على الوهاد والرُبى وأنّى والشمس مصدر الحركة في العوالم وقوام الحياة لكل قائم فاذا هبّت الريح فالشمس هي التي تهبّ واذا دبّت النَعَم فالشمس هي التي تدبّ واذا انتشر الغمام فهي التي تنتشر واذا انهمرت الغيوث فهي التي تنهمر ألا والشمس هي التي تجري في الانهار وهي التي تغرّد في الاطيار وهي التي تزهر في الرياض وهي التي يُسمَع حفيفها في الغياض وعلى الجملة فالشمس هي روح الكائنات وفؤادها واذا ماتت الافئدة فمحالٌ ان تعيش اجسادها

لا جرَم ان الشمس ليست باول جُذوةٍ من نيران السمآء ادركها الخمود والانطفآء فكم من نجمٍ نصّ المتقدمون على مكانهِ وموضعهُ اليوم خال بل منها ما دلت الدلائل على وجودهِ وهو غير مرئيٍّ في حال وانما الشمس من هذه النجوم فلا بدّ ان يدركها ما ادرك سواها اذا لم يفاجئها مفاجئٌ من مثل ما ذكرنا في الارض يعجّل منتهاها فانهُ لا دوام في الخلق ولكن كل ما لهُ اولٌ لهُ آخرٌ ولو بعد حين وانما البقآء لله تقدّست اسمآؤهُ وهو وارث العالمين

ثم على فرض حدوث هذا الملتقى بين الارض والمذنَّب المذكور فان الخطر انما يكون اذا وقعت المصادمة بين الارض ونواة المذنَّب وهذا من الندور والاستبعاد بحيث لا يستحق ان يُبنَى عليهِ حذر وهو من الحوادث التي لم تقع في تاريخ الارض لا بعد وجود الانسان ولا قبلهُ لانهُ لو وقع شيء من مثل ذلك لدلت عليهِ الآثار الجيولوجية . ولكن جل ما يُتوقع حدوثهُ من ذلك ان تخترق الارض ذنب النجم كما حدث في ٣٠ يونيو سنة ١٨٦١ على ما يرجحهُ اكثر العلمآء ولكن ذلك لم يشعر بهِ احد ولم يُعلَم مرور الارض فيهِ الاّ بعد خروجها منهُ

الروايات والروآئيون

لحضرة الكاتب البارع سليم افندي الخوري

لا يخفى ما للأُمم اوربا على العموم من الشغف بامر الروايات ولا سيما التمثيلية منها لما فيها من الحكمة في تهذيب الاخلاق وتنوير الاذهان وما تنطوي عليهِ من الحقائق تحت ثوب اللهو والفكاهة ولذلك اجمعت عقلآؤهم على اعتبارها من اعظم اركان المدنية وتفرغ اهل الادب والشعر منهم للاشتغال بها والتأليف فيها وربما دخل بعضهم في جملة ممثليها مما يدلك على شرف منزلتها عندهم . وما ذلك الا لما رأوا بالاختبار من حسن نتائجها وما لها من التأثير في اذهان العامة منهم وتنبيه الغافلين من الخاصة وارشاد الملوك والعظمآء الى ما يجب عليهم فعلهُ بان يُرُوهم العبرة في سواهم ويمثلوا لهم الحالة التي هم فيها بهيئةٍ تُظهر لهم حسنها من قبيحها . وقد اتسع مجال هذا الفن عندهم واصبح مستبَقاً لارباب الذكآء والالباب النيرة يتفننون في اساليبهِ وتصوير الحوادث فيهِ على اوضح صورها واشدّها تأثيراً في العقول حتى اصبح من رؤوس الفنون الادبية واصبح اربابهُ في اعلى درجةٍ من الحرمة والتجلة . وانظر الى ما كان من عهدٍ قريب من اهتمام الامة الانكليزية بمرض الكاتب الشهير المستر كبلنغ حتى كانت كانها باسرها اعضآء جسمٍ واحد يتألم بألم ذلك المريض ويترقب اخبار سلامتهِ ثم ما كان من شيوع امر مرضهِ في جميع اوربا واهتمام عظمآئها بهِ حتى توالت الرسائل البرقية من كل صوب في استطلاع انبآئهِ والوقوف على كنه احوالهِ بحيث كانوا وهم على بعد اميالٍ كثيرة كانهم آذانٌ صاغية الى ضربات قلبهِ المبشرة ببقآء حياتهِ

ولقد يعجب بعض الناس عندنا لسماعهم مثل ذلك ويستغربون هذا الاحتفال العظيم بامر هذا الرجل حالة كونهِ ليس من عظماء الارض وملوكها ولا من ساسة الممالك او مشاهير القوّاد ولا هو من علماء العصر وفلاسفتهِ ولا من اصحاب الاختراعات والاكتشافات المهمة ولكن جلّ ما يقال عنهُ انهُ رجلٌ من الكتاب قد اشتهر بتأليف الروايات يتفنن فيها باساليب بلاغتهِ ويزخرفها بطلاوة الفاظهِ ولم يُعرَف بشيءٍ من المباحث الجدّية كالحقائق العلمية او الصناعية او كشف شيءٍ من المنافع الطبية او ما اشبه ذلك من الفوائد العائدة الى مصلحة المجتمع الانساني

نعم لا يُنكَر ان الرجل ليس في شيءٍ من تلك المناصب العالية ولا على شيءٍ من هذه المباحث الخطيرة ولكن قيمة الانسان لا يُنظَر اليها من وجهٍ مخصوص والعلم لا يكون كلهُ صنفاً واحداً ولا تقف الفائدة منهُ على مبحثٍ معلوم . وهذا علم التاريخ مثلاً فانك اذا اعتبرتهُ من حيث هو لم تجدهُ الا اقاصيص واخباراً لا يستفاد منها شيءٌ من الامور المذكورة ولكنهُ مع ذلك معتبرٌ من اجلّ العلوم النافعة بما يعطي من البصيرة في احوال الحياة والعبرة باحوال من مضى لان حوادث هذا الكون تتكرر على الغالب اذ « ليس تحت الشمس شيءٌ جديد » . والروايات اذا نظرت اليها نظر المتبصر وتعقلت كنهها والغرض من وضعها وجدت انها لا تخرج عن غرض التاريخ نفسهِ الا انها تمثل لك الوقائع التاريخية بصورتها الحسية حتى تكون كانك شاهدٌ لها شهود العيان ولا يخفى ما في ذلك من قوة التأثير في مقام العبرة وفضل التمثيل الروائي على القَصَص التاريخي الذي كثيراً ما يبعث الملل

في نفس القارئ لما فيهِ من وحدة السياق وتوالي الاخبار مجردةً عن الاشخاص القائمين بها وهيهات ان يقوم الخبر مقام العيان . ومثَل ذلك مثل ما اذا اردت ان تشخص هيئة انسانٍ لشخصٍ لم يرَهُ فانك مهما وصفت لهُ من حلاهُ واشكالهِ ولونهِ وملامح اعضآئهِ لا يستطيع ان يتصورهُ ويستحضر هيئتهُ في ذهنهِ كما لو اريتهُ صورة الشخص نفسهِ فان نظرةً واحدة من تلك الصورة تكفي لتصوُّرهِ وتشخيصهِ بما لا يصل اليهِ الوصف ولا تبلغهُ النعوت مهما كانت دقيقة

ولنضرب لذلك مثلاً رواية صلاح الدين الايوبي التي انشأها نابغة عصرهِ وشكسبير الروايات العربية فقيد هذا الفن المرحوم الشيخ نجيب الحداد فانك اذا حضرت حوادثها تتشخص امامك على ساحة التمثيل ظهر امام عينيك الاشخاص الذين دارت تلك الحوادث بينهم فرأيتهم باشباحهم وحركاتهم وسمعت كلام كلٍّ منهم بلهجتهِ الطبيعية وتجلت لك صفاتهم واخلاقهم بما يشعرك من نفسك بالتأثير الذي تشعر بهِ لو كنت حاضراً بينهم حتى كانهم احياءٌ معك تسمع اقوالهم وتشاهد افعالهم وحتى ينتقل بك التصور الى ان تتوهم تلك الوقائع حقيقية تجري امامك ويبقى عنها في ذهنك خيالٌ لا يمحى . وهذا كلهُ لا يمكن ان تشعر بهِ من مجرد مطالعة التاريخ مهما فصّل لك المؤرخ واطال في الوصف فضلاً عما يعلق في ذهنك من العبر والحِكَم بما يُمثَّل امامك من الحركات والاقوال التي تصوّر لك الفضيلة والرذيلة والعدل والجور والوفآء والغدر والصدق والكذب الى غير ذلك من الخصال بارزةً كل واحدةٍ منها في ثوبٍ يحببها الى المشاهدين ويرغبهم في

التزامها او يبغّضها اليهم وينفرهم من اتيانها . ولهذا المعنى كانت الروايات التمثيلية من انجع الوسائل وافعلها في تثقيف الاخلاق واصلاح العادات وتنوير العقول وحث النفوس على الكمالات الانسانية وهذا ما حدا الغربيين على اعتبار هذا الفن الجليل فرفعوا منارهُ وشرّفوا ذويهِ وكان مؤلف الروايات عندهم لا ينحطّ عن مقام العالم والفيلسوف والمخترع والمكتشف بل قد يكون نفع بعض اهل العلم خاصاً بفريقٍ من الناس حالة كون الروآئي ينفع بتآليفهِ جميع الطبقات من خاصة الناس وعامتهم ولا يخفى ان العامة احوج الى من يفيدها ويهذبها فقد تكون الروايات من هذا هذا الوجه اعظم فائدةً من كتب العلم التي لا يتناول فوائدها الا اناسٌ معدودون ممن تمكنهم احوالهم من الانقطاع للدرس والتعلم

ومن الغريب في هذا المقام ان نرى بعض الكتاب عندنا ممن يتوهمون في انفسهم الحكمة وسموّ المدارك والاحاطة باطراف العلم والسياسة يطعنون في الروايات التمثيلية او كما يسمونها « الروايات التياترية » ثم لا يكفيهم ذلك حتى يصفوها « بالسافلة » وهي اول مرةٍ أُطلق فيها هذا الوصف على هذا الفن الشريف مع ان الامم الغربية بالاجمال وفيها ملوكها وعظماؤها وعلماؤها وحكماؤها وسياسيوها تحلها في ارفع مقام من مقامات المدنية والتهذيب ونرى من الذين اشتغلوا بها امثال شكسبير وموليار وكرنيل وڤولتير وراسين وهوغو وغيرهم من اهل هذه الطبقة . فما كان احوج اولئك الاقوام الى رجلٍ من « الشرق » يأتيهم في هذه « الفترة من الزمن » فينير ظلمات عقولهم « بمصباح » افكارهِ الثاقبة وآدابهِ الصائبة بل ما احوجنا الى اناسٍ يسعون

بيننا بالخير ويرشدون هذه الامة الى ما يُلحقها بسائر امم العصر ولا يكونون عقبةً في سبيل الساعين باصلاح شؤونها اصلح الله نياتنا وجمع قلوبنا على الاخلاص وكلمتنا على الصدق والله حسبنا وهو الهادي الى سواء السبيل

خواطر مستطرفة
في الموسيقى

لحضرة الاديب المتفنن نقولا افندي الحداد

(تتمة ما في الاجزآء السابقة)

- ١١ -

اما الفرق بين الموسيقى العربية والافرنجية وايهما اشدّ اطراباً فمما يصعب الحكم فيهِ اذ لا يخفى ان كل امةٍ تلتذ بموسيقاها وتؤثرها على سواها وما دام الاستحسان راجعاً الى ذوق المستحسن والناس مختلفون في الاذواق فلا افضلية لواحدة على الاخرى . على انهُ وان لم تكن هناك افضلية باعتبار الاذواق فلكل موسيقى ما تمتاز بهِ وللموسيقى العربية مزيتان لعلهما تجعلانها احسن وقعاً واشد تأثيراً

الاولى ان الالحان الافرنجية موقعة كلها على الدرجات الاصلية في السلم الموسيقي ويندر ان يُعدَل في لحنٍ منها عن درجةٍ اصلية الى اخرى فرعية اي الى شيء من الانصاف المخفوضة او المرفوعة ولا يُحتاج الى الدرجات الفرعية عندهم الا لرفع السلم على الآلة اذا كان اللحن منخفضاً او خفضهِ اذا كان اللحن عالياً بحيث تصبح الفرعية اصلية . والغرض من ذلك